[223] ولباب الكرام، وملح الايام، عتق منظر، وجودة مخبر، وجزالة منطق، وسهولة لفظ، ونزاهة أنفس (1)، واكتمال خصال، حتى لو فاخرت الدنيا بقليل أيامهم، والمأثور من خصالهم كثير أيام من سواهم، من لدن آدم أبيهم إلى نفخ الصور، وانبعاث أهل القبور، حاشا أنبياء ا المكرمين، وأهل وحيه المراسلين، لما باهت إلا بهم، ولا عولت في الفخر إلا عليهم، ولقد كانوا مع تهذيب أخلاقهم، وكريم أعراقهم، وسعة آفاقهم، ورفق ميثاقهم (2)، ومعسول مذاقهم، وسني (3) إشراقهم، ونقاوة أعراضهم، وطيب أغراضهم، واكتمال خلال الخير فيهم إلى مل ء الارض مثلهم، في جنب محاسن المأمون كالنفثة في البحر، وكالخردلة في المهمه القفر. قال سهل: إني لمحصل أرزاق العامة بين يدي يحيى بن خالد في داخل سرادقه، وهو مع الرشيد بالرقة، وهو يعقدها جملا بكفه، إذ غشيته سآمة، وأخذته سنة، فغلبته عيناه. فقال: ويحك يا سهل، طرق النوم شفري عيني، فأظلمت وأكلت السنة خواطري (4)، فما ذاك ؟ قلت: طيف كريم، إن أقصيته أدركك، وإن غالبته غلبك، وإن قربته روحك، وإن منعته عنتك، وإن طردته طلبك. فنام أقل من فواق بكية (5) أو نزح ركية (6)، ثم انتبه مذعورا، فقال: يا سهل، لامر ما كان، ذهب وا ملكنا، وذل عزنا، وانقطعت أيام دولتنا. فقلت: وما ذاك أصلح ا الوزير. قال: كأن منشدا أنشدني: كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر (7) فأجبته عن غير روية ولا إجالة فكر: بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالي والجدود العواثر (8) _____ (1) في العقد: نفس. (2) في العقد: ورونق سياقهم. (3) في العقد: وبهاء... وتهذيب أغراضهم. (4) في العقد: وحلت السنة جفني. (5) الفواق: بالضم والفتح، ما بين الحلبتين من الوقت. أو ما بين يدك وقبضها على الضرع. والبكيئة (بكية: بعد أن سهلت الهمزة وادغمت الياء بالياء) القليلة اللبن. (6) في العقد: أو نزع من ركية، والركية: البئر. (7) الحجون: جبل بأعلى مكة. (8) البيتان في معجم البلدان (حجون) من أبيات قالها مضاض بن عمرو الجرهمي يتشوق إلى مكة بعد أن أجلتهم عنها خزاعة. (*)

_____